

منهجية يحيى بوعزيز من خلال كتاباته التاريخية (المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدرسة نموذج)

الحوارية بطيب

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية،
جامعة معسكر.

- تميزت مسيرة المؤرخ يحيى بوعزيز بغزارة إنتاجه العلمي في ميدان البحث التاريخي، وبثراء وتنوع المصادر التي استسقى منها معلوماته، وقد أحصى لهذا المؤرخ أزيد من ثلاثين مرجعا أبرزها:
- تاريخ العالم الحديث من فجر الصناعة إلى الحرب العالمية الثانية. بالاشتراك مع أحمد بن الطاهر وبلعديس بلحاج. الجزائر، 1969.
 - تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية. دار هومة، 2001.
 - أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة.
 - ثورة 1871م (دور عائلي القراني والحداد) الجزائر، 1978م.
 - ثورات الجزائر في القرنين 19 - 20 م. دار البعث، الجزائر، 1980م.
 - مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلة، الجزائر. ط2: 1986م.
 - فريدة المنسية أو تاريخ قسنطينة. الجزائر، 1991م.
 - الأمير عبد القادر: رائد الكفاح الجزائري. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983م.
 - كفاح الجزائر من خلال الوثائق. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

- الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه 1912 .
- 1948 م. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987م.
- وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
- مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415 / 1995م.
- الاتهامات المتبادلة بين مصالي حاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني 1946 . 1962م. دار هومه، الجزائر، 1421 / 2001 م.
- سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830 - 1954. ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007م.
- علاقات الجزائر الدولية مع دول وممالك أوربا 1500 - 1830م.
- الاستعمار الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، الجزائر. 1988م.
- وهران عبر التاريخ. الجزائر. 1985م.
- تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر، 1985م.
- الموجز في تاريخ الجزائر.
- فضاء في رحلة العمر.
- موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب. ج 1. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- مواقف العائلات الإستقرائية من الباشاغا المقراني.
- موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب. ج 2. دار الهدى، الجزائر.
- الثورة في الولاية الثالثة التاريخية (أول نوفمبر 1954 - 19 مارس 1962 م).
- دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر.

- الإيديولوجية السياسية للحركة الوطنية الجزائرية (1920 - 1954م).
الجزائر. 1985.

• محمد الصالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م.

- الآغا المزارى بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر. تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز. 1410 / 1990.

إلى جانب نشره للعديد من المقالات على مستوى عدد محترم من المجلات العلمية كمجلة الأصالة (الجزائر)، والثقافة (الجزائر)، الهداية (تونس)، التاريخ (الجزائر)، المجلة التاريخية المغاربية (تونس).

- ولهذا الغرض خصصت هذه المحاولة لإبراز منهجية يحيى بوعزيز من خلال كتابه "المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمريد (1780 - 1798م).
1798م).

1. يعد كتاب المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمريد (1780 - 1798) الذي تكفل ديوان المطبوعات الجامعية بنشره سنة 1993 من أهم ما ألفه يحيى بوعزيز، فالمؤلف لم يكتفي بجمع المادة وتصنيفها والتعليق عليها فحسب كما هو معتاد في خطوات التأليف، بل حرص على توظيف وثائق في غاية الأهمية، يصعب على العديد الوصول إليها ناهيك عن ترجمتها من لغتها الأصلية - الإسبانية، التركية، إيطالية - إلى العربية. فالكتاب جمع عدد مهم من الوثائق الرسمية حملت طابع الرسائل التي أرسلت بين السلطات الجزائرية والإسبانية ما بين سنة 1780 و1798م، أغلبها كانت رسائل أصلية والبعض منها مترجم عن الرسائل الأصلية بلغات مختلفة إيطالية، عربية، تركية، إسبانية قشتالية كما أوضح المؤلف ذلك في مقدمة كتابه.

2- وتأخذ هذه الرسائل الطابع الدبلوماسي، وهي تكشف النقاب عن واقع العلاقات الدبلوماسية بين إيالة الجزائرية وإسبانيا، وبين هذه الأخيرة والدولة العثمانية وباقي دول المغرب في أواخر القرن 18، كما تعكس الوضع السياسي والعسكري للجزائر إبان عهد الداوي محمد عثمان، والداوي حسن باشا. إلى جانب قضايا أخرى لا تقل أهمية تمس الجانب التجاري، ووضع الأسرى، والقرصنة، وكذا أمور تقنية تخص عتاد السفن والتسليح، وما إلى ذلك من معلومات قيمة حافلة بالتفاصيل الدقيقة.

3- أشار يحيى بوعزيز بكل أمانة علمية إلى أن اكتشاف هذه الرسائل تم في إطار العمل الذي قام به فريق من الباحثين تابع لمركز الدراسات والبحث عن تطور الجهوي لوهران المتفرع من المنظمة الوطنية للبحث العلمي. ويرجع الفضل الأول في نقل صور عن هذه الرسائل إلى الأستاذ عصمت تركي، وقد أشار إليه يحيى بوعزيز على أنه أستاذ اللغة الإسبانية بمعهد اللغات الحية بجامعة وهران، ومجموع الرسائل التي أخذ الصور عنها بلغ مائة وتسع رسالة وقد صنفت على الشكل التالي (بوعزيز يحيى، 1993: 07):

- 54 رسالة باللغة الإسبانية القشتالية.
- 33 رسالة باللغة التركية العثمانية منها 25 لا ترجمة لها.
- 12 رسالة باللغة العربية.
- 10 رسائل باللغة الإيطالية.
- صنف يحيى بوعزيز الرسائل على شكل فهرس بدون إحالة وعنوانه بـ مجموع الرسائل حسب السنوات، فأثبت السنة وبجانبها عدد الرسائل المؤرخة بها (بوعزيز يحيى، 1993: 09)، على سبيل المثال: **سنة 1780: رسالتان / سنة 1798: 4 رسائل واحدة بالتركية وثلاثة بالعربية**. كما أضاف فهرسة أخرى بدون إحالة عنوانها بـ مجموع الرسائل حسب أصحابها ولغاتها، حيث أوضح فيها عدد الرسائل الموجهة إلى المعني بالأمر، وبين اللغة التي كتب بها نص الرسالة (بوعزيز يحيى، 1993: 10)

على سبيل المثال: 14 رسالة للداي محمد عثمان باشا: واحدة بالعربية وأربعة بالإيطالية وتسعة بالتركية/ 10 رسائل للملك الإسباني كارلوس الرابع بالإسبانية.

تكمن أهمية مؤلف يحيى بوعزيز إذا في الرسائل القيمة التي تم إدراجها فيه، رغم أنه ذكر في معرض حديثه وهو يعرف بمضمون الكتاب على أنه سيكتفي بإعطاء ملخص عام لبعض الرسائل في حين سيتم عرض البعض منها كاملة، ولا ندري بناء على أي أساس بنى اختياره في عرض نص بعضها، وتلخيص البعض الآخر منها، وسندرج مجموع الرسائل التي تم عرضها كاملة:

1. رسالة سلطان المغرب الأقصى محمد بن عبد الله إلى الملك كارلوس الثالث. المؤرخة بـ 26 جمادى الثانية 1198هـ (1784/5/2م). نص الرسالة باللغة العربية (بوعزيز يحيى، 1993: 53).

2 رسالة الداى محمد عثمان باشا إلى الملك الإسباني كارلوس الثالث. المؤرخة بـ 20 ذي الحجة 1199هـ (1785/10/24م). نص الرسالة باللغة التركية (بوعزيز يحيى، 1993: 55).

3 رسالة حسن وكيل الحرج إلى الوزير الأول الإسباني. المؤرخة بـ 21 شعبان 1199هـ (1785/06/29م). نص الرسالة باللغة العربية (بوعزيز يحيى، 1993: 57).

4. رسالة خزندار سيد علي إلى الوزير الأول الإسباني. لا تاريخ لهذه الرسالة. نص الرسالة باللغة التركية (بوعزيز يحيى، 1993: 62).

5. رسالة محمد عثمان باشا داي الجزائر إلى ملك اسبانيا. المؤرخة بـ 16 جمادى الأولى 1200هـ (1786/03/17). نص الرسالة باللغة التركية (بوعزيز يحيى، 1993: 66).

6. رسالة سيدي علي محمد خزندار إلى الكوندي دي فلوريدا بلانكا. المؤرخة بـ 19 جمادى الأولى 1200 (1786/03/20) نص الرسالة باللغة العربية (بوعزيز يحيى، 1993: 69).

- 7- رسالة حسن وكيل الحرج إلى الكوندي دي فلوريدا بلانكا. المؤرخة بـ 27 جمادى الأولى 1200هـ (1786/03/29م) **نص الرسالة باللغة العربية** (بوعزيز يحيى، 1993: 74).
- 8- رسالة الداى محمد عثمان باشا إلى الملك الإسباني كارلوس الثالث. المؤرخة بـ 20 شعبان 1200هـ (1786/06/17) **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 82).
- 9- رسالة السيد علي أغا إلى الكوندي ديسيبى. المؤرخة بـ 26 ذي القعدة 1200هـ (1786/09/20م). **نص الرسالة باللغة العربية** (بوعزيز يحيى، 1993: 86).
- 10 - رسالة حسن الخزنأجي إلى الكوندي ديسيبى. المؤرخة بـ أواخر ذي القعدة 1200هـ (1786/09م). **نص الرسالة باللغة العربية** (بوعزيز يحيى، 1993: 89).
- 11 - رسالة حسن وكيل الحرج إلى الكوندي دي فلوريدا بلانكا. المؤرخة بـ جمادى الأول 1201هـ (1787/02/23م). **نص الرسالة باللغة العربية** (بوعزيز يحيى، 1993: 98).
- 12 - رسالة الداى محمد عثمان باشا إلى الوزير الإسباني الأول الكوندي دي فلوريدا بلانكا 9 رجب 1201هـ (1787/04/24م). **نص الرسالة باللغة العربية** (بوعزيز يحيى، 1993: 105).
- 13 - رسالة من إسحاق بك إلى حسن وكيل الحرج. المؤرخة بـ غرة شعبان 1201هـ (1787/05/19م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 112).
- 14 - رسالة حسن وكيل الحرج على الكوندي دي فلوريدا بلانكا. المؤرخة 20 ذو الحجة 1201هـ (1787/09/30م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 118).

رسالة من علي أغا الخزناسي إلى الكوندي دي فلوريدا. المؤرخة 21 ذو الحجة 1201هـ (1787/10/04م) **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 121).

15- رسالة محمد عثمان باشا إلى الكوندي دي فلوريدا. المؤرخة 21 ذو الحجة 1201هـ (1787/10/04م) **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 125).

16- رسالة الداوي محمد عثمان على الملك الإسباني كارلوس الثالث. المؤرخة 21 ذو الحجة 1201هـ (1787/10/04م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 129).

18 - رسالة السيد علي أغا إلى الكوندي دي فلوريدا. المؤرخة أواخر ذي الحجة 1201هـ (أوائل أكتوبر 1787م). **نص الرسالة باللغة العربية** (بوعزيز يحيى، 1993: 131).

- رسالة محمد عثمان باشا داي الجزائر إلى ملك اسبانيا كارلوس. المؤرخة ب 10 جمادى الأولى 1203 (1789/01/24م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 137).

19 - رسالة حسن كتحدا إلى الكوندي دي فلوريدا بلانكا. المؤرخة ب أوائل شعبان 1203هـ (أواخر أبريل 1789م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 139).

21 رسالة من عثمان باشا داي الجزائر إلى ملك اسبانيا كارلوس الثالث. المؤرخة ب 8 شوال 1203هـ (1789/01/21م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 141).

22 - رسالة من حسن وكيل الحرج إلى الكوندي دي فلوريدا بلانكا. المؤرخة ب 9 شوال 1203هـ (1789/07/02م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 144).

- 23 - رسالة من حسن باشا داي الجزائر إلى الملك كارلوس ملك اسبانيا. المؤرخة بـ 13 ذو الحجة 1205 هـ (1791/08/13). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 149).
- 24 - رسالة من حسن باشا إلى الوزير الأول لملك اسبانيا. **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 153).
- 25- رسالة أخرى من حسن باشا إلى الوزير الأول لملك اسبانيا. **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 154).
- 26- رسالة من الداى حسن باشا إلى الملك الإسباني. المؤرخة بـ 15 رمضان 1206 هـ (1792/05/07م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 156).
- 27 - رسالة من الداى حسن باشا إلى الملك الإسباني كارلوس الرابع. المؤرخة بـ 22 رمضان 1206 هـ (1792/05/14م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 158).
28. رسالة من الداى حسن باشا إلى الملك الإسباني كارلوس الرابع. المؤرخة بـ 07 ذو القعدة 1206 هـ (1792/06/27م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 160).
29. رسالة من الداى حسن باشا إلى الوزير الأول الإسباني. المؤرخة بـ 27 ذو القعدة 1296 هـ (1792/08/16م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 162).
30. رسالة من الداى حسن باشا إلى الملك الإسباني كارلوس الرابع. المؤرخة بـ ربيع الأول 1207 هـ (1792/11م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 165).
31. رسالة من الداى حسن باشا إلى الملك الإسباني كارلوس الرابع. المؤرخة بـ 21 صفر 1208 هـ (1793م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 174).

32. رسالة من الداى حسن باشا إلى الملك الإسباني كارلوس الرابع. المؤرخة بـ (1793م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 182) .
33. رسالة من الداى حسن باشا إلى الملك الإسباني كارلوس الرابع. المؤرخة بـ 03 شعبان 1208 هـ (1794/03/06م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 187) .
34. رسالة من الداى حسن باشا إلى الوزير الإسباني قودري. المؤرخة بـ 03 شعبان 1208 هـ (1794/03/06م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 189) .
35. رسالة من الداى حسن باشا إلى الوزير الإسباني. المؤرخة بـ 25 ربيع الأول 1210 هـ (1795/10/09م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 195) .
36. رسالة من الداى حسن باشا إلى الوزير الإسباني قودري. المؤرخة بـ 07 رجب 1211 هـ (1796/01/06م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 202) .
37. رسالة من الداى حسن باشا إلى الملك الإسباني كارلوس الرابع. المؤرخة بـ 11 ربيع الثاني 1212 هـ (1797/10/03م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 205) .
38. رسالة من الداى حسن باشا إلى الملك الإسباني كارلوس الرابع. المؤرخة بـ 26 شوال 1212 هـ (1798/04/13م). **نص الرسالة باللغة التركية** (بوعزيز يحيى، 1993: 211) .
39. رسالتان من أسيرة مغربية بمالطة إلى سلطان المغرب الأقصى مولاي سليمان. المؤرخة بـ 8 شوال 1212 هـ (1798/03 /26م). **نص الرسالتان باللغة العربية** (بوعزيز يحيى، 1993: 217) .
40. رسالة من مغربي تنصر بعث بها إلى الملك كارلوس الرابع بقصد المساعدة. **نص الرسالة باللغة العربية** (بوعزيز يحيى، 1993: 221) .

حاول يحيى بوعزيز عرض أهم الإشكاليات التي طرحتها هذه الرسائل، ومحورها في الغالب يدور حول إقرار الصلح بين اسبانيا والجزائر، وما يتبع ذلك من توطيد أواصر التعاون بين الطرفين، وحل المشاكل المتعلقة بالنشاط التجاري والمبادلات في حوض البحر الأبيض المتوسط، وحد من عمليات القرصنة، ووضع الأسرى في كلا البلدين.

وقد حرص على توضيح مضمون هذه الرسائل والتعليق عليها، زيادة على ترتيبها وتصنيفها حسب السنوات، فقد مكن لهذه المعلومات أن تكون متداولة وفي متناول الجميع بفضل طبعه هذا العمل، فمجهوده لم يذهب سدى فاعمل بالفعل مهم للباحثين الذين يهتمون بدراسة الوضعية السياسية للإيالة الجزائرية في عصر الدايات، وكذلك للمهتمين بتاريخ العلاقات الدبلوماسية في هذه المرحلة. ولكن ما يثير النقاش في هذا المؤلف بالتحديد هو أن يحيى بوعزيز لم يتكبد عناء البحث لوحده أو بالأحرى الخطوات المهمة فيه، نقصد البحث عن المادة وكيفية الوصول إليها ثم قراءتها وترجمتها ثم توظيفها، كما أشار هو في حد ذاته فجانب هذه الوثائق كان الأستاذ عصمت تركي في إطار تحضيره رسالة مجستار في نفس الموضوع باللغة الإسبانية (بوعزيز يحيى، 1993: 18، 37)، كما تولى ترجمة وتلخيص الرسائل المكتوبة باللغة الإسبانية. أما الأستاذ Emilio Sola فقد قام بتلخيص الرسائل المكتوبة بالإيطالية. بينما تولى الأستاذ فكري طونه ترجمة الرسائل المكتوبة باللغة التركية. ولو لاحظنا عدد الرسائل التي تولى يحيى بوعزيز نشرها في كتابه كاملة - والتي بلغت حوالي 41 رسالة - نجد معظمها مترجم من التركية إلى العربية - التي بلغ عددها ما يقارب 29 رسالة - وهذا عمل فكري طونه في الأصل، أما البقية فهي مكتوبة باللغة العربية وفيها يظهر مجهود يحيى بوعزيز لا في غيرها. أما الرسائل الأخرى المكتوبة بالإسبانية والإيطالية فقد وضعها ملخصة دون عرضها كاملة، وكان هذا مجهود كل من عصمت تركي و Emilio Sola (بوعزيز يحيى، 1993: 18).

ولما كان موضوع هذه الرسائل يدور في الغالب حول المكاتبات الرسمية التي تمت بين دايات الجزائر - محمد عثمان باشا ثم حسن باشا - وبين ملك إسبانيا كارلوس الثالث ثم كارلوس الرابع أو ما يمثلهما. فقد وجه يحيى بوعزيز عنايته لاستقراء الأحداث التاريخية موظفا ما جادت به هذه الرسائل في توضيح العديد من النقاط، كالدور الهام الذي لعبه حسن وكيل الحرج في إبرام الصلح مع إسبانيا، وأهم الأحداث المرتبطة به، وقد نقل بنود الصلح التي تم الاتفاق عليها، وهي في مجملها تقارب 25 بندا نقلا عن مولاي بلحميس الذي قام بترجمة نص معاهدة الصلح من الإسبانية إلى العربية، ونشرها في مجلة التاريخ وحضارة المغرب العدد 11، سنة 1974 (بوعزيز يحيى، 1993: 37، 38).

توجت محاولة يحيى بوعزيز لاستقراء الأحداث التاريخية، منذ اعتلاء الداي محمد عثمان باشا حكم الجزائر سنة 1766م إلى غاية إبرامه الصلح سنة 1786م، بـ ثلاثين صفحة من كتاب مجموع صفحاته قاربت 221 صفحة دون احتساب قائمة المصادر والمراجع. وقد حرص خلالها على نقد الرواية التاريخية، محاولا إعطاء تفسير منطقي لهذه الأحداث، وهو كثيرا ما يقف موقف الحكم في تحليلاته، وقد استثمر هذه المراسلات بالإثراء والتنسيق مع ما كتب من مصادر أخرى فأضحت معلوماته قيمة، وجديرة بالبناء عليها. أي بمواصلة البحث بناء على المعطيات التي قدمها. وهو في كل ذلك اهتم اهتماما واضحا بتوثيق معلوماته بكل أمانة علمية، وتوضيح ما قد يشكل على القارئ من معلومات قد وردت في النص محاولا تفسيرها أو تعريفها حسب الحالة والضرورة الداعية لذلك، وهذا مجهود من المؤلف يشكر عليه.

أما من ناحية الأسلوب فالمؤلف عرف عنه ترتيبه المنطقي للأفكار، فهو لا يدخل في فكرة جديدة إلا بعد انتهاءه من الأخرى، الشيء الذي يسهل على القارئ عملية التتبع والفهم خاصة إذ تعلق الأمر بأحداث تاريخية متشابكة ومعقدة في كثير من الأحيان، وهذا ما يفسر في بعض الحالات إطنابه عند عرضه الحادثة

التاريخية أو تكريره للمعلومات التي قد يكون ساقها في مواضع أخرى. وقد بنى أفكاره بلغة سهلة وبسيطة ترتفع في الكثير من المرات إلى لغة أدبية سلسلة وممتعة للقراءة.

وفي الأخير أتمنى أن يعاد طبع هذا الكتاب طبعة متقنة ومنقحة.

قائمة المراجع:

- بوعزيز يحيى - المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمريد - ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. ط: 1993.